

في البلاغة :

من غرائب التمثيل

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد الطنطاوي

الأستاذ في كلية اللغة العربية

التشبيه بالشيوخ:

يجمل الحديث عن التشبيه بهم لطرافته فيما جادت به قرائح شعراء مرهفي الشعور، عند عقد المناسبة بين ما وقع عليه نظرهم مما استرعى انتباههم، وحاز صورة خاصة في أخيلتهم، انعكست فيها مرآة ما تراءى لهم - وبين الشيوخ الذين هم منتهى الشيبة أو المستشيخين ممن يكونون على أنماطهم، وإن لم يتح ذلك إلا للأفذاذ منهم ذوى التفكير الصائب والتعبير المفتح.

فإن المستفيض في الأساليب العربية عند التعبير الخيالي في التصوير بالتشبيه والمحاكاة حول الشبهة أن يشبهوا بغيرهم، مما يخال انطباقه عليهم، وتمثيله هيئاتهم التي تعرض لهم، وتعرفهم في مناحيهم المتعددة: حركاتهم وسكناتهم، غدواتهم وروحاتهم، جلساتهم وأحاديثهم، يقظتهم وسباتهم. وذلك عند ما تعشى أبصارهم، أو تنثنى ركبهم، أو تنقوس ظهورهم، أو ترتعش أيديهم، أو تتفكك أوصالهم، أو تهون منتهم، أو تخور عزائمهم. فإنهم عند ذاك يكونون شبابهم الذاهب، وتذهب نفوسهم حسرات عليه، وما يجدى البكاء والحزن، وصدق المتنبي:

وما ماضي الشباب بمسترد وما يوم يمر بمستعاد

وما بكى العرب شيئاً في الدنيا ما بكوا شبابهم، فافتنوا في تشبيهاهم لما نزل بهم ولم يجدوا منه مخلصاً، كل فيما يختص به وما رزئ به وحده، مما امتلأت به بطون الكتب الأدبية.